السرطان وخلاصة ما عرف من امره

رأينا ان نلخص في السطور التالية ما عُرف من امر السرطان حتى الآن لأن هذا الداء العياء قد زاد انتشاراً في بلادنا او زاد انتباه الناس لهُ وهم يودون ان يقفوا على كل ما عُرف من امره لاسيما وانهم يعلمون ان العلماء يبحثون الآن عن حقيقته ويحاولون اكتشاف علاج لهُ

لقد ثبت بالبحث والاستقراء ان داء السرطان موجود في كل البلدان وان ثلاثة في المئة الى خمسة في المئة من الناس يموتون به . هذا في المتوسط ولكن الوفيات به قد تكون اكثر من ذلك او اقل باختلاف البلدان فمن كل مئة الف نفس من السكان يموت في سويسرا ١٣٢ نفساً وفي نروج وهولندا ١٠٠ نفس وفي انكلترا ٩٠ نفساً وفي النمسا ٧٨ وفي فرنسا ٧٦ وفي بروسيا ٧١ وفي ايطاليا ٦١ وفي اسبانيا ٤٨ وفي الجزائر من الاوربيين ٣٣ وفي كيوتو من بلاد اليابان ٢٩ والموت به في البلدان المجاورة لبحر ازوم اقل منها في غيرها

وكانت وفياتهُ في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠٧ ٧٣ من كل مئة الف . ولذلك يموت فيها بالسرطان كل سنة ٧٥٠٠٠ ويموت به في البلدان المتمدنة كلها نحو نصف مليون نفس . واذا التفتنا الى الناس الذين سنهم اكثر من ٤٥ سنة وجدنا ان الذين يموتون منهم بالسرطان اكثر من الذين يموتون بالسل . وقد ظهر من الاحصاء في الولايات المتحدة انهُ يموت بالسرطان من الذين سنهم بين ٤٥ و ٦٠ نحو ٧ في المئة من الرجال و ١٦ في المئة من النساء

واذا راجعنا احصاء الوفيات بالسرطان في كل البلدان المتمدنة منذ اربعين سنة او خمسين الى الآن رأينا انها آخذة في الازدياد المستمر حتى لقد تضاعف عدد الوفيات النسبي به في بعض البلدان . والباحثون في هذا الموضوع مختلفون في سبب هذه الزيادة فالبعض يقولون انها زيادة ظاهرة لا حقيقية سببها اتقان وسائل التشخيص والاحصاء . والبعض يقولون انها حقيقية لان اكثرها من سرطان الثنة الهضمية حيث يصعب التشخيص والزيادة واقعة بنوع خاص في الذين سنهم اكثر من ستين سنة لا في صغار السن فلو كان سبب ظهورها اتقان التشخيص لوجب ان تظهر في الصغار السن ايضاً . وزد على ذلك ان عدم اتقان التشخيص يعرّض الاطباء للخطإ في حسبان ما ليس بسرطان سرطاناً كما يعرضهم للخطإ في حسبان السرطان مرضاً آخر فاذا زاد بهِ عدد حوادث السرطان من جهة وجب ان ينقص من اخرى

وفوق ذلك فان حوادث السرطان زادت في مستشفى الرحمة ببرلين حيث تشرّح جثث

الموتى ووسائل التشخيص هناك لم تتغير منذ ٣٥ سنة الى الآن فقد كان المصابون من الذين سنهم اكثر من عشرين سنة ٤ في المئة من كل الذين توفوا بين سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٨٥ فصاروا ١٠ في المئة سنة ١٩٠٤ ويبلغ ١٦ في المئة سنة ١٩٠٩ ونحو ٢٠ في المئة سنة ١٩١٠ فيحتمل ان تكون وفياته قد زادت حقيقة منذ خمسين سنة الى الآن كما نقصت وفيات السل

واكثر الاعضاء تعرضاً للسرطان في اوربا واميركا واليابان المعدة ثم الامعاء ثم عنق الرحم ثم سائر اعضاء الولادة ثم ثدي المرأة . اما سرطان المعدة فكثير في الرجال والنساء على حدّ سوى في الغالب او هو اكثر في الرجال في بعض البلدان . والغالب ان ٣٥ الى ٤٥ في المئة من كل حوادث السرطان تكون في المعدة و ٢٢ في المئة تكون في اعضاء الولادة والثدي و ٢٠ الى ٣٥ في المئة من النساء اللواتي يمتن بالسرطان يكون سرطانهنّ في الرحم . ويحدث السرطان احياناً كثيرة في الشفة واللسان والمستقيم والجلد ولا سيما في جلد الوجه . وقد ظهر بالاحصاء في الولايات المتحدة ان من كل الف سرطان ٣٨٠ تكون في المعدة والكبد و ١٤٣ في اعضاء الولادة و ١١٧ في الامعاء و ٨٥ في الثدي و ٣٧ في الجلد و ٣٢ في الفم

وتختلف مواقع السرطان باختلاف البلدان فسرطان الرحم نادر في بلاد نروج واندر منهُ هناك في الثدي ولكن سرطان المعدة كثير جداً فيها واما في اسوج فسرطان الرحم اقل قليلاً جداً مما هو في غيرها والبلادان متناخمتان . وسرطان الشفة اكثر في البرتوغال منهُ في غيرها حتى يبلغ ٢٩ في المئة من حوادث السرطان في الرجال . وسرطان اعضاء التنفس والافراز (اي الكليتين والحالبين والمثانة) قليل نادر بالنسبة الى غيره

ويصيب السرطان النساء اكثر من الرجال فالنسبة بينهم في بروسيا مثل ٤ الى ٣ وهي اكثر من ذلك في الولايات المتحدة الاميركية وذلك لكثرة حدوث السرطان في الثديين واعضاء الولادة ولكن اذا كانت الاعضاء واحدة اختلفت النسبة باختلافها فسرطان المرارة والامعاء والمستقيم اكثر في النساء منهُ في الرجال وسرطان الشفة والوجه واللسان اكثر في الرجال منهُ في النساء . وسرطان المعدة متساوٍ في الاثنين او هو اكثر قليلاً في الرجال . والبلدان التي يكثر فيها سرطان المعدة كما في سويسرا ونروج وطوكيو تكثر فيها الوفيات بالسرطان

ولا فرق بين المتزوجين والعزب من حيث كثرة ظهور السرطان ولكن اذا قصرنا النظر على النساء فسرطان الرحم والثدي اكثر في المتزوجات منهُ في غيرهنّ

وقد قيل ان السرطان يصيب المترفهين واهل السعة اكثر مما يصيب الفقراء ولكن الاحصاءات الحديثة تدل على ما هو ضد ذلك . وعند التفصيل يظهر ان سرطان عنق الرحم اكثر في الفقيرات منهُ في الغنيات وسرطان الثدي اكثر في الغنيات منهُ في الفقيرات

ولا فرق في كثرة ظهور السرطان بين المدن والارياف او هو اكثر قليلاً في المدن منهُ في الارياف التي يقل وجود الاطباء فيها . والمرجح ان قلتهُ حينئذٍ ظاهرية اي يموت به الناس ولا يعلم انهم كانوا مصابين به

وقد شوهد انهُ يكثر في بعض البقاع ولاسيما اذا كانت كثيرة الحراج ندية . وقال بعض الاطباء انهُ يكثر في بعض البيوت وبعض الاحياء من القرية الواحدة او البلد الواحد وحسبوا انهُ يحدث هناك بالعدوى ولكن الذين اصيبوا به في تلك البيوت او الشوارع قلال بالنسبة الى سائر سكانها . والبيوت التي يصاب فيها غير واحد قليلة جداً . وقد يكون للوراثة شأن فيها . ولكن لا شبهة في ان السرطان يظهر في بعض الاماكن اكثر مما يظهر في غيرها

ان ما تقدم يصدق بنوع خاص على البيض سكان اوربا واميركا اما غيرهم فالامر فيهم مختلف على نوع ما . فالسرطان اندر في زنوج افريقية منهُ في سكان اوربا واميركا وانواعهُ بين الزنوج مثل انواعهِ بين البيض ولكن نسبة بعضها الى بعض بين الزنوج مخالفة لما هي عليه بين البيض ومن هذا القبيل حدوث السرطان في عرب الجزائر فانهم اكثر تعرضاً للسركوما منهم للكرسينوما . وتسعة اعشار الرجال الذين يصابون منهم بالسرطان تكون اصابتهم في وجوههم لتعرضها لاشعة الشمس . اما نساؤهم فاكثر ما يصبن في الميل لا في الرحم . وسرطان المعدة والامعاء نادر هناك . والسرطان قليل جداً في الهند الشرقية وسيلان وبين الصينيين اقل منهُ في اوربا ولكنهُ في اليابان غير قليل . وهو اقل بين هنود اميركا منهُ بين سكانها البيض . ويظهر من ذلك ان زيادتهُ وقلتهُ غير مرتبطتين باختلاف الاقليم ولكن هل هما مرتبطتان بالوراثة والاختلاف الشعبي او باختلاف طرق المعيشة والاصابة بامراض اخرى قبلهُ . هذه مسألة لا يمكن حلها حتى الآن ولكن رأى الباحثون اموراً كثيرة متعلقة بها فقد شاهد بعضهم ان السرطان كان نادراً جداً في سكان سردا ليونة ولكنهُ زاد بعد اختلاطهم بالبيض الذين هاجروا اليها ولا يعلم هل هذه الزيادة ناتجة من اختلاطهم بالبيض او من تغير اسلوب معيشتهم . وقد زاد السرطان ايضاً بين السود سكان الولايات المتحدة منذ خمسين سنة الى الآن . وسرطان الرحم الذي كان نادراً بين نساء اولئك السود صار الآن

اكثر منهُ بين نساء البيض . ولا يعلم كم من هذه الزيادة نتج من تغير المعيشة وكم منها نتج من الاختلاط والمزاوجة

وقد تقدَّم ان سرطان الرحم نادر في نساء بروج ولا يُعلَم هل سبب ذلك قلة اصابة الرحم باسواء تمهِّدُ للاصابة بالسرطان او انهُ من مزايا الشعب البروجي

والظاهر من الاحصاء في الولايات المتحدة ان الوفيات بالسرطان تزيد بعد السنة الخامسة والثلاثين من العمر ولكنها لا تكون على درجة واحدة في الرجال والنساء فبين السنة الخامسة والاربعين والرابعة والستين تكون وفيات الرجال بالسرطان ٧ في المئة من كل وفياتهم في هذا السن ووفيات النساء ١٦ في المئة من كل وفياتهنَّ فيهِ

والسرطان العادي (كرسينوما Carcinoma) يندر حدوثهُ في الصغار السن ولكنهم يصابون بانواع اخرى من السرطان او الاورام السرطانية في الامعاء ولاسيما في الكليتين والغدد التي فوقهما ثم في العينين فالدماغ فالجلد فالجمجمة فالكبد فالامعاء الدقاق والزائدة الدودية . وقد تظهر الاورام السرطانية في كلى الاطفال . واذا اصيبت اعضاء الولادة في البنات بالسرطان لم يحدث في الرحم كما في النساء بل في المبيض والمهبل

واكثر الاورام السرطانية التي تظهر في الصغار يكون خلقيًّا اي انها تبتدئ والولد جنين ولكن لا يتنبه لها الاَّ حينما تكبر والولد في العاشرة او العشرين او بعد ذلك

والمباحث المتعلقة ببزور الاورام السرطانية وكونها توجد في البيضة التي يتولد منها الحيوان كثيرة دقيقة يتعذر فهمها على غير الطبيب والجراح فنجتزئ عنها بما تقدم لان اكثر انواع السرطان العادية اسبابًا اخرى تعرض للحيوان بعد ما يولد فقد ظهر بالاستقراء ان ظهور السرطان في الذين يعملون بالفلاحة والحياكة والنجارة وقطع الحراج والخدمة في البيوت اكثر منهُ في الجنود والمدنيين وعمَّال المعامل . فلمعرفة علاقة بهذا الداء . وممَّا لا شبهة فيهِ ان نحو سبعين نفسًا من الذين كانوا يستخدمون اشعة رنتجن قبل اكتشاف طرق الوقاية منها أُصيبوا بالسرطان من فعل هذه الاشعة بايديهم واذرعهم التي عُرِّضت للاشعة زمانًا طويلاً

والذين يتظفون المداخن تكثر اصابتهم بسرطان الجلد ولاسيما سرطان الصفن وهذا السرطان قد يصيب الاولاد فقد شوهد في ولد عمرهُ ثماني سنوات . ويقال انهُ سبب من تهيج الهباب للجلد . والذين يعملون في معامل غاز الضوء والقطران وقوالب الفحم الحجري معرَّضون لسرطان الجلد ايضًا كأن في القطران والزفت مواد آلية تهيج الجلد فتتكوَّن فيهِ

تآليل تتقرح وتصير سرطاناً وتتولد تآليل مثل هذه في ابدان الذين يعملون في معامل اصباغ الانيلين وبكثرة حينئذٍ سرطان المثانة . وكل احد من عمال المعامل الذين اصيبوا بالسرطان كان قد قضى في العمل عشرين سنة او اكثر كأنَّ الكليتين تفرزان حينئذٍ شيئاً يصل الى المثانة فيهيجها ويولِّد السرطان فيها

وقد يحدث السرطان من اشعة نور الشمس كما يحدث من اشعة رنتجن وبعض المواد الكيماوية ولا سيما في التجَّارة فان الاجزاء العارية من ابدانهم المعرضة لاشعة الشمس يحدث فيها شيء من التغيُّر يفضي الى تولُّد النواي السرطانية . وقد يحدث مثل ذلك في وجوه الشيوخ وايديهم ويحدث احياناً في وجوه الشبان وايديهم من تعرضها لنور الشمس

ومما يدخل في هذا الباب ان بعض الناس في بلاد كشمير في شمال الهند يحملون موقداً صغيراً فيحرق جلدهم حيثما يسندونهُ ويتولد السرطان فيهم محل الحرق

والقروح التي يطول عليها الزمن ولا تشفى قد تتحول اخيراً الى سرطان ومن هذا القبيل قروح الذئب الاكال والتدرُّن . وقد يحدث السرطان من فعل بعض الديدان والواشن[1] في القطر المصري يصاب كثيرون من السكان بالبلهرتزيا ودود هذا المرض يقيم احياناً في اوردة البطن ويبيض في غشاء المثانة المخاطي فيسبب التهاب المثانة ولا سيما في الشيوخ واخيراً يتولد من هذا الالتهاب سرطان في نحو ٣ الى خمسة في المئة من المصابين بالبلهرتزيا . ويحدث في بلاد البوسنه انهُ اذا لسع حلٌ انساناً تولَّدت مكان اللسع قروح تزمن وتتحول اخيراً الى نوع من السرطان . وقد ارتأى البعض ان الديدان الداخلية تكون سبباً لتولد الاورام السرطانية فقد وجدت النواي السرطانية قرب الاعضاء المصابة بالتريخينا المزمنة ووجدت الدستوما في الكبد المصابة بالسرطان

والخلاصة ان السرطان قد يتولد في جسم الانسان لاسباب طارئة عليهِ تهيجهُ او تقرّحهُ ولكن هل تفعل في توليد السرطان فعلاً مباشراً يجعلها خلايا الجلد تنمو نمواً سرطانياً غير عادي او انها تفعل فعلاً مهيئاً للسرطان بتوليدها القروح ثم يتولد السرطان حيث هذه القروح هذه مسألة سنعود اليها في الجزء الثاني

---

(١) الواشن ج رواشن كالبارش ترجمة حرفية لكلمة بلراسيت ويحتمل عندنا ان كلمة وارش معربة منها وكلمة راشن محرفة عنها